

أضواء البيان

@ 25 @ قُلْ أُوْبُنَا غُلْفُ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّاهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا
يُؤْمِنُونَ { . .

وكل هذه الصفات لم تكن موجودة في كل من شاق □ ورسوله من غير اليهود ، وقد صرح تعالى
بأنهم استحقوا هذا الحكم للأسباب التي اختصوا بها دون غيرهم في قوله تعالى : { وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ
دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَاؤُلَاءِ
تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَأَنْتُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ
تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى
تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ عَصَاؤُهُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ
الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِهِ { . .

فكل ذلك من نقض الميثاق ، والغدر في الصلح ، وسفك الدماء ، والتظاهر بالإثم والعدوان ،
والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه ، كان خاصاً باليهود ، فكانت العلة مركبة من المشاققة
، ومن هذه الصفات التي اختصوا بها ، وكان الحكم صريحاً هنا بقوله عنهم : { فَمَا
جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْنَا أَسْذَابًا { . وكان خزيهم في الدنيا
: هو ما وقع بهم من إخراج وتخريب وتقتيل . .

وإن من كانت هذه حاله كما تقدم ، لم يكن لهم الاستئصال الكلي بإخراجهم أو تقتيلهم ،
فلم يعد يصلح فيهم استصلاح ولا يتوقع منهم صلاح ، ويكفي شاهداً على ذلك أن بني قريظة لم
يتعظوا ، ولم يستفيدوا ولم يعتبروا كما أمرهم □ : { فَأَعْتَبْ رُؤُوسَهُمْ فَأَكَلَّوهُمُ
بِمَارِهِمْ { . .

ما اتعظ بنو قريظة بما وقع بإخوانهم بني النضير ، فلجؤوا بعد عام واحد إلى ما وقع فيه
بنو النضير من غدر وخيانة ، فكان اختصاص اليهود بالحكم لتلك العلة المشتركة ، لأنهم وإن
شاركهم غيرهم في المشاققة فلم يشاركهم غيرهم في الجانب الآخر مما قدمنا من دوافع المشاققة
.

وللدوافع تأثير في الحكم ، كما في قصة آدم وإبليس . فقد اشترك آدم وإبليس في عموم
علة العصيان ، إذ نهى آدم عن قربان الشجرة ، وأمر إبليس بالسجود لآدم مع الملائكة ، فأكل
آدم مما نُهي عنه ، وامتنع إبليس عما أمر به فاشتركا في العصيان كما قال تعالى عن آدم

{ وَعَصَاةَ آدَمَ رَبِّهِ فَغَوَى } ، وقال عن إبليس : { مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ } ، ولكن السبب كان مختلفاً ، فأدم نسي ووقع تحت وسوسة